

سباق من أجل النفوذ
أم صراع حضاري؟

باعتباره يستهدف بسط النفوذ على المستويين السياسي والعسكري، ولكنه صراع يخترن خلفية تاريخية لا يمكن إنكارها.

هذا المحور القائم على الصدام والصراع، يذكرنا بمفهوم صراع الحضارات، الذي وضعه الأميركي صامويل هنتنغتون في أطروحته الشهيرة المنشورة عام 1993 بعنوان "صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي". وعندما تنامل مسار الصدام المستمر الذي تحول إلى أيديولوجيا ثابتة للنظام الإيراني، لا يمكن تجاهل البديهييات والحقائق التي تؤكد العلوم السياسية، وفي مقدمتها حقيقة أن التاريخ يلقي بظلاله على المستقبل وحروبه ومصالحاته.

يجب أن ندرس تاريخنا المحلي وتاريخ الأمم التي حولنا، لأن العداوات التاريخية تظل فاعلة بشكل خطير ومؤثر، مهما ظهرت القوى المجاورة باقنعة دينية مشتركة، لأن كل التحركات السياسية في الزمن الراهن غير منفصلة عن جذور الماضي وحسابات الصراع الحضاري. لكن الحضارات القديمة قد تتسكك، وتصبح حروبها ومواقفها تجاه الآخرين موازية لتخلفها وهميتها المستحدثة. فالحضارة الفارسية لو أنها ظلت محافظة على ما اكتسبته من ثمار مدنية وتطورات إدارية وفنية وأدبية، لكانت بالتأكيد أفضل بمراحل لا تقاس بالوضع الحالي الأكثر بؤساً، الذي تحول معه الإيرانيون إلى آلات لإنتاج الشعارات الجوفاء العادية حتى المصلحة الإيرانية أنفسهم ولاقتصادهم ومستقبل أبنائهم.

ويبدو أن القوة الروحية التي نقلت العرب إلى مرحلة غزو الحضارات المجاورة لهم، كانت ملائمة أكثر لحاجة العرب إلى التقارب والائتلاف تحت مظلة عقيدة صلبة، أدت إلى زرع الحساس لديهم، ومنحتهم الطاقة الكافية لتدمير الفرس والروم، لكن البديل بالنسبة للحضارتين المتهاريتين لم يكن دافعا لولادة حضارة جديدة ترضي غرور الحضارتين المتهاريتين، وبين من كانت المدونات العربية التراثية تطلق عليهم في الماضي صفة العجم، وهم الفرس والروم؛ إيران وتركيا في الوقت الراهن.

من ناحية أخرى لم يتبق لدى الحضارتين سوى مشاعر العدا الكامن تجاه العرب، وخاصة أن الإيرانيين أعادوا صياغة المشاعر القومية بالمزج بين الروح الفارسية والدين على طريقة الماللي، مع تعزيز هذا التوجه بشكل أيديولوجي حاد منذ ثورة الخميني وحتى اليوم. بينما نقل أتاتورك الأتراك إلى مرحلة علمانية ملتبسة لم تمنع من الحنين إلى المرحلة العثمانية، بدليل ركوب الرئيس رجب طيب أردوغان ومجموعته على هذه الموجة القديمة. ومن خلال تلقيح الفرس لمشاعر الكراهية ضد العرب بأيديولوجيا طائفية تزعم احتكار المقاومة على وقع الشعور بمظلومية وجدوا فيها ضالتهن، وأصبحوا يهاجمون العرب ويتناولون عليهم باسم الدين نفسه الذي طمس حضارة بلاد فارس؛

يزايد الأتراك على العرب وبقية العالم الإسلامي بالفترة العثمانية التي كانت مرحلة فشل خلالها الأتراك في التخلي عن تخلفهم، بقدر ما حاولوا نشره على كل المناطق التي احتلوا باسم الخلافة العثمانية. ويمكن توصيف ملامح الصراع الحالي بين القوميات الثلاث الرئيسية في الشرق الأوسط،

د. سالم حميد
رئيس مركز الزمارة للدراسات والبحوث - دبي

رغم المشترك الديني التقليدي بين القوميات العربية والفارسية والتركية في الشرق الأوسط، إلا أن المنشأ العربي للإسلام الذي غزا الحضارتين الفارسية والرومية، لا يزال يستفز الوجدان التاريخي للحضارتين البائدتين، وهذا الشعور يبرز إلى السطح في تعبيرات سياسية يمكن ملاحظتها بسهولة، وخاصة مع تزايد اتجاه العالم نحو عصر الشعوبية والتعبيرات القومية المتطرفة، ما أدى إلى إحياء النزعات المحلية في مواجهة الثقافات المهيمنة التي تغطي على ما سبقها من خصوصيات.

ومن الطبيعي أن الانصهار في الثقافة الإسلامية لم ينقلا القوميات البارزة المحيطة بالعرب إلى مرحلة المحو النهائي للشعور الدفين بالخصوصية الحضارية السابقة، وتحديدًا لدى حضارتَي الفرس والروم. ما يثبت حقيقة مفادها أن الخصوصيات الحضارية الأقدم والأعرق من التحولات الدينية الأحدث زمنيًا تبقى ذات تأثير أقوى يتغلب على المشترك الروحي الجديد نسبيًا. بمعنى أن مرور ما يقرب من 1500 عام على ظهور الإسلام لا يكفي لجعل هذه الفترة الزمنية قادرة على تغييب المشاعر القومية العميقة لدى الإيرانيين والأتراك في الزمن الحاضر.

صحيح أن التعبير عن الاختلاف الثقافي والسياسي بين القوميات في إطار الإسلام يظهر بأشكال معاصرة، لكن الحديث عن سباق من أجل النفوذ بين القوميات الثلاث الكبرى في الشرق الأوسط لا يخلو من خلفيات تاريخية، أصبح الدين فيها محايدًا أو أقل فاعلية مما مضى. وهذا دليل على أن السياسة لا دين لها، مهما رفع البعض شعارات تسييس الدين أو آيات الخلافة. لأن الصراع يبقى من حيث جوهره صراع نفوذ، وتعبيرا عن العدا التاريخية الكامن بين العرب من جهة، وبين من كانت المدونات العربية التراثية تطلق عليهم في الماضي صفة العجم، وهم الفرس والروم؛ إيران وتركيا في الوقت الراهن.

ويبدو أن جماعة الإخوان المسلمين قد فوجئت بالموقف الكويتي الذي يعتبره المراقبون تحولًا مهمًا في سياسات بلد لم يعرف عنه حسمة في العلاقة مع الإسلام السياسي، لذلك حاولت تهدئة الموقف بالقول إنه "لم يثبت عليها يوما أي مساس بأمن الكويت أو استقرارها"، وبالتأكيد على أنها "فوجئت ببيان وزارة الداخلية الكويتية يتحدث عن إلقاء القبض على عدد من المواطنين المصريين العاملين هناك واصفا إياهم بأنهم يشكلون خلية إرهابية من الإخوان المسلمين". كما زعم الجماعة أن "الأفراد المقبوض عليهم هم مواطنون مصريون دخلوا دولة الكويت وعملوا بها وفق الإجراءات القانونية المتبعة والمخلفة لإقامة الوافدين بالكويت، ولم يثبت على أي منهم أي مخالفة لقوانين البلاد أو المساس بأمنها واستقرارها".

ونوهت الجماعة إلى أنها "تدرك يقينا مكانة دولة الكويت المعروفة عبر تاريخها بمواقفها وتعاملها الموضوعي والعادل مع كل من يقيم على أرضها، ويتمنون دائما مواقفها المشرفة حيال أحداث المنطقة ومناصرتها الدائمة لقضاياها العادلة، والترفع عن المشاركة في أي سياسات مجحفة بحقوق الشعوب، والزام قيم العدل والإنصاف وحماية الحقوق، مما جعلها تحتل مكانة مرموقة بين الدول واكسبها احترام الشعوب".

لكن بيان الجماعة يكتبه الواقع الكويتي، حيث يعتبر عدد من الباحثين والمحللين الكويتيين أن ارتباط الجماعة في بلادهم بالخارج وبالتنظيم الدولي للإخوان، جعلها وفق تقارير إعلامية تضغط على وزارة الداخلية من أجل التراجع عن قرارها تسليم الخلية المصرية إلى القاهرة، نظرا للارتباط العميق بين الجناح الكويتي والجماعة الأم في مصر.

وهذا ما يتفق مع تفسير الكاتب الصحافي الكويتي أحمد الجارالله الذي ورد فيه إن "حركة الإخوان المسلمين عندنا ليست حركة وطنية مستقلة، ولا حركة دينية خاصة، بل هي حركة سياسية تابعة تعمل على الالتزام بمواقف خارجية ليس من الضروري أن تتطابق مصالحها (المواقف) مع المصالح الوطنية الكويتية.

وهذا الباب يفتح أبوابا أخرى على أهداف الحركة في الكويت، والتي يمكن اعتبارها أنها أهداف موصولة بمشروع إسلاموي عالمي يسعى إلى الحكم والسيطرة على المجتمع وإقصاء كل المعارضين لهذا المشروع بصرف النظر عن انتمائهم الديني".

إن ضبط وتسليم أعضاء الخلية الإخوانية لمصر، يعتبران تحولًا مهمًا وحاسمًا في موقف دولة الكويت من الجماعة، ربما تجاوبا مع التحولات الإقليمية والدولية إزاء الإسلام السياسي، وربما أيضا نتيجة محاولات التغول التي يقودها إخوان الداخل والتي حققت جانبًا من أهدافها في التمكين والسيطرة.

هل غيرت الكويت موقفها نهائيا من الإخوان؟

حركة الإخوان في الكويت موصولة بمشروع إسلاموي عالمي



إخوان الداخل في خدمة التنظيم الدولي

وتسليمهم إلى مصر على دفتين بناء على طلب السلطات هناك، وأوضحت أن العملية الاستباقية التي نفذتها أجهزة وزارة الداخلية لاقت ترحيبًا محليًا وخارجيًا واسعًا، فيما أكدت الوزارة أنها تحقق لمعرفة "من مكن أعضاء الخلية من التواري وساهم بالتسكّر عليهم، والتوصل لكل من تعاون معهم".

ووفق صحيفة الرأي، فإن "بداية الخيط في القضية كانت بورود معلومات أمنية من السلطات المصرية تتعلق بوجود المطلوبين في الكويت وطلب تسليمهم، وأهمهم أوبكر عاطف السيد الفيومي"، مبينة أن "جهاز أمن الدولة، الذي كلف بمتابعة الملف، عمل خلال فترة غير قصيرة على إجراء تحقيقاته وتحقيقاته ومراقبة المطلوبين ورصد تحركاتهم قبل ضبطهم"، كما أن "المضبوطين الثمانية يقيمون في الكويت منذ سنوات طويلة، وأن أسماءهم وردت خلال تحقيقات السلطات المصرية مع عناصر متوسطة في عمليات إرهابية قبل سنوات، حيث اعترفوا بوجود شراكة لهم في الجماعة وتجمعهم ارتباطات سياسية وتنظيمية ومالية، ووردت أسماء أعضاء خلية الكويت في الاعترافات، وأدخل هؤلاء إلى سجل الاتهام في القضايا التي نظرتها المحاكم المصرية وصولًا إلى صدور الأحكام عليهم، وهذا ما يفسر دخولهم القضية رغم وجودهم في الكويت منذ سنوات وعدم دخولهم مصر أيضا منذ سنوات".

وقالت الصحيفة إن "الأحكام الصادرة بحق أعضاء الخلية تتراوح ما بين 15 إلى 5 أعاما في قضايا الاعتداءات الإرهابية، ومشاركتهم في أعمال الشغب عقب فض اعتصام النهضة ورابعة العدوية، في محافظات مصرية عدة"، مردفة أن "التحقيقات والتحريات التي أجرتها السلطات الأمنية في الكويت، كشفت أن أعضاء خلية جماعة الإخوان المسلمين المصرية المضبوطين هم جزء من المظلومة الكبيرة التي يتم رصدها منذ نحو ثلاث سنوات، وتبين عقد خلية الكويت الإخوانية لاجتماعات عدة في تركيا وفي قطر، فضلا عن اجتماعاتهم في الكويت".

وقال المحلل السياسي الكويتي وأستاذ التاريخ، سلطان الأصفه، إن الكويت بلد آمن وملاذ لكل الأحرار، لكنه شدد على أن الكويت ليست تركيا وليست مثل أي دولة أخرى شقيقة تقوم بإيواء الإرهابيين والمارقين. وأضاف أن الكويت لديها قوانين واضحة، ولديها علاقات تعزز بها مع مصر وغيرها.

وأوضح الأصفه أن هناك اتفاقيات أمنية بين مصر والكويت تحتم مثل الإجراء الذي صدر بالقبض على الخلية الإخوانية، متابعا أن هذا الموقف جيد من دولة الكويت نحو الإخوان المسلمين، لكنه اعتبر أن الظروف لم تعد تحتل المواقف والإجراءات الضبابية.

وقال إنه بعد الكشف عن الخلية الإرهابية الإخوانية، يجب على إخوان الكويت بالتحديد، أن يحدوا موقفهم تجاهها بشكل واضح وبلا لبس.

جاء تسليم الخلية الإخوانية المصرية من قبل دولة الكويت لسلطات القاهرة ليمثل نقلة مهمة في تعامل الجانب الكويتي مع ملف الإسلام السياسي، فالكويت كانت إلى وقت قريب ملاذاً آمناً لجماعة الإخوان، ومصدر تمويل سخى للحركات التابعة للجماعة في مختلف الدول العربية وغيرها.

الأمنية في البلاد لضبط الأوضاع وحماية الكويت من أي خلايا نائمة أو عناصر مشبوهة، فضلا عن استباق الجرائم قبل وقوعها، وضبط كل من له صلة بالمشبوهين أو المتهمين، مشيرة إلى أن الحكومة شددت على أن كل التيارات تحت الرصد ولا تتعاون مع أي تحركات تنصر بأمن البلاد.

وكانت الداخلية الكويتية ذكرت أن أعضاء تلك الخلية قاموا بالهرب والتواري عن السلطات الأمنية المصرية، متخذين الكويت مقرا لهم، حيث رصدت الجهات المختصة في وزارة الداخلية مؤشرات قادت إلى الكشف عن الخلية. وأضافت أنه من خلال التحريات تمكنت الجهات المختصة من تحديد مواقع أفراد الخلية وباشرت عملية أمنية استباقية، جرى بموجبها ضبطهم في أماكن منفردة، وبعد إجراء التحقيقات الأولية معهم أقروا بقيامهم بعمليات إرهابية وإخلائهم بالأمن في أماكن مختلفة داخل الأراضي المصرية.

جماعة الإخوان فوجئت
بالموقف الكويتي الذي
يعتبر تحولاً في بلد لم
يعرف بحسمة للعلاقة مع
الإسلام السياسي

وأوضحت الوزارة أن التحقيقات لا تزال جارية للكشف عن ساعدتهم في التواري وساهم بالتسكّر عليهم والتوصل إلى كل من تعاون معهم، وحذرت من أنها لن تتهاون مع كل من يثبت تعاونه أو ارتباطه مع هذه الخلية أو مع أي خلايا أو تنظيمات إرهابية تحاول الإخلال بالأمن، وأنها مستضرب بيد من حديد كل من تسول له نفسه المساس بأمن الكويت.

وكان لافتًا أن الداخلية الكويتية ذكرت أن "خلية إرهابية تتبع تنظيم الإخوان المسلمين، صدرت بحقها أحكام قضائية من قبل القضاء المصري وصلت إلى 15 عاما"، معتبرة ذلك إنجازا جديدا للقيادة الأمنية، مؤكدة أنها بالمرصاد لكل من تسول له نفسه المساس باستقرار الكويت.

فالإشارة إلى أن الخلية التي تم ضبطها تنتمي إلى جماعة الإخوان تمثل رسالة واضحة المعالم من سلطات بلد لم يعرف عنه الحزم والحسم في علاقته بالجماعة التي كانت تتمدد في المجتمع بقوة المال والنفوذ والإعلام وشبكة المصالح والجمعيات الخيرية كثيرة العدد.

وأبرزت صحيفة "الرأي" أن "أعضاء الخلية الثمانية تم ضبطهم وتم

الحبيب الأوسود
كاتب تونسي

لعل خير تعبير عن أن الكويت طالما مثلت الملاذ الآمن للعناصر الإخوانية، ما ورد في ملف الخلية المصرية في الكويت، من أن زعيمها أوبكر الفيومي كان يتصل بعناصر الجماعة في مصر، ليقول لهم بالحرف الواحد "الكويت ملاذ آمن لسوا عاوزين تجو"، وهو بذلك ينطلق من تجربته الخاصة وتجربة العشرات من أمثاله ممن كانوا يعيشون على الأراضي الكويتية، حيث يجمعون التبرعات ويعقدون الاجتماعات ويجعلون منها منطلقا لتحركاتهم في دول عدة وخاصة قطر وتركيا.

وكان رجال جهاز أمن الدولة بالكويت قد حققوا مع عناصر الخلية البالغ عددهم 8 أشخاص، تبين أن خمسة منهم دخلوا البلاد عام 2013، والثلاثة الآخرين دخلوا في 2017 بعد خروجهم من مصر بطريقة غير شرعية، وبأسماء وهمية عقب صدور أحكام قضائية ضدهم في مصر.

ووفق أغلب المحللين فإن تعامل الكويت مع الإخوان يعد الكلف عن ملف الخلية المصرية سيختلف عما كان قبلها، خصوصا وأن الموضوع يطرح مسائل مهمة منها كيفية تخفي عناصر الجماعة داخل البلاد، وعلاقتها بالجمعيات الخيرية، وجماعة الإخوان المحلية، وارتباطاتها بالخارج انطلاقا من بلد الإقامة، وأساليب الحركة والتجمع والتمويل والاتصال بالعناصر الإخوانية وخلاياها النائمة في دول الخليج، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، وكذلك دور إخوان الكويت ليس فقط في تأمين نظرائهم القادمين من دول أخرى، وإنما في دعم وتمويل الحركات الإخوانية في دول أخرى مثل سوريا واليمن وتونس وليبيا ولبنان وموريتانيا.

وقد تحدثت صحيفة "القبس" الكويتية أمس الأحد عن تفجير مفاجأة من العيار الثقيل بالكشف عن أن بعض عناصر الخلية يعملون في جمعيات خيرية وإقاماتهم عليها، وجار استبعاد هذه الجهات لمعرفة مدى علمهم بانتفاء المتهمين من عدمه، مشيرة إلى أنهم اعترفوا بأن لهم صلة بمنفذي عملية اغتيال النائب العام المصري السابق هشام بركات، حسب القبس الكويتية، وأن مجلس الوزراء سيستعرض في اجتماعه المقبل تقريرا مفصلا من وزارة الداخلية حول تفاصيل الخلية التي ألقى القبض عليها بناء على طلب الإنتربول المصري.

ولفتت الصحيفة على لسان مصادر لم تسمح لها إلى أن الحكومة تتحرك حاليا على أكثر من محور فيما يتعلق بالملف الأمني، حيث تقدم كل الدعم للجهات



صياغة المشاعر القومية بمفردات الدين